خرائط دبلوماسية جديدة مع اقتراب العام الثاني للحرب على غزة

1. المقدمة

منذ اندلاع الحرب على غزة في أكتوبر 2023، ظلّت القضية الفلسطينية تتصدر المشهدين الإقليمي والدولي، لكنّ ما ميز الأشهر الأخيرة هو التحول اللافت في مواقف الحكومات حول العالم تجاه إسرائيل. لقد كشفت هذه التحولات عن ديناميات دبلوماسية وسياسية جديدة تتجاوز مجرد ردود الفعل الآنية، لتطرح أسئلة أعمق حول طبيعة النظام الدولي وموازين القوى التي تحكمه. ففي الوقت الذي استمرت فيه الحرب بتداعياتها الإنسانية الكارثية، تزايدت الضغوط على الحكومات لصياغة مواقف واضحة لا تقتصر على البعد الإنساني بل تمتد إلى إعادة النظر في علاقاتها وتحالفاتها.

تنبع أهمية هذا البحث من أنه يتناول بالتحليل أحدث التطورات، أي مع اقتراب الحرب من عامها الثاني، وهي لحظة زمنية دقيقة تكشف ملامح إعادة التموضع السياسي والدبلوماسي لعدد من الدول الكبرى والإقليمية. كما أن التركيز على مواقف الحكومات يسمح بفهم أعمق لكيفية صنع القرار في ظل أزمات ممتدة ومعقدة، حيث تتقاطع اعتبارات الأمن القومي مع الضغوط الداخلية والتوازنات الدولية.

وعليه، يسعى هذا البحث إلى تقديم إطار تحليلي عام لفهم التحولات الدبلوماسية والسياسية الجارية، وإبراز ما تكشفه هذه اللحظة التاريخية من مؤشرات حول طبيعة النظام الدولي واتجاهاته المستقبلية.

2. الولايات المتحدة – بين الدعم الاستراتيجي وتآكل النفوذ

2.1 استمرار الدعم الرسمي مقابل تغيّر المزاج الداخلي:

حافظت الولايات المتحدة عموماً على دعمها الاستراتيجي الثابت لإسرائيل خلال حرب غزة، لكن الأشهر الأخيرة شهدت بعض التحولات في الخطاب الرسمي تحت وطأة الضغوط الداخلية. فعلى الصعيد العلني، واصلت الإدارة الأمريكية – سواء في أواخر ولاية الرئيس جو بايدن أو مع تولي إدارة جديدة في 2025 – تأكيدها على حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها والتزامها بأمن إسرائيل كشريك استراتيجي. ولم يظهر تغير جوهري في مستوى المساعدات العسكرية؛ على العكس، تم تسريع تزويد إسرائيل بالأسلحة والذخائر خلال الحرب (Arms Control Association, 2025).

ومع ذلك، بدأت نبرة الخطاب الرسمي تتعدل جزئيًا في مواجهة الانتقادات الدولية والمحلية حول الكلفة الإنسانية المرتفعة في غزة. على سبيل المثال، تحت ضغط المشرعين التقدميين وبعض حلفاء الحزب الديمقراطي، دعمت إدارة بايدن دعوات إلى "فترات وقف إنساني" محدودة في القتال أواخر 2024، رغم استمرار رفضها تأييد وقف إطلاق نار شامل. وفي الوقت نفسه، ظهرت بوادر نقاش في الكونغرس حول اشتراط المساعدات أو فرض رقابة أو قيود على استخدام الأسلحة المورَّدة لإسرائيل، تجلّت في مقترحات تشريعية قدمها بعض الأعضاء الديمقراطيين تهدف إلى ربط المساعدات باحترام القانون الإنساني. هذه الخطوات وإن لم تحظَ بتأييد

الأغلبية، عكست تغيرًا في المزاج السياسي الداخلي الأميركي غير مألوف في ملف الدعم لإسرائيل (Arms Control Association, 2025).

2.2 تأثير الضغوط الداخلية والرأي العام:

بالتوازي مع ذلك، شهدت الأشهر الأخيرة تآكلاً في التأييد الشعبي الأميركي للسياسات الإسرائيلية، مما أثّر بدوره على حسابات صانع القرار الأمريكي. فقد أظهرت استطلاعات موثوقة في صيف 2025 تحولًا لافتًا في الرأي العام: 84% من الناخبين الأميركيين يؤيدون وقفًا فوريًا لإطلاق النار في غزة، وفقط 27% يعبّرون عن نظرة إيجابية تجاه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو. كما أن 45% من عموم الناخبين الأمريكيين يعتقدون أن إسرائيل ترتكب "إبادة جماعية" بحق الفلسطينيين في غزة – وهي نسبة تُظهر مدى الانتقاد الشعبي المتصاعد لسلوك إسرائيل، وتتجاوز قاعدة التأييد التقليدية بين الديمقراطيين لتشمل مستقلين وجمهوريين معتدلين أيضًا. هذه الأرقام الكبيرة تعكس تغيرًا تدريجيًا تراكم خلال سنوات، لكنه تسارع بشدة مع استمرار صور الدمار ومعاناة المدنيين في غزة على مدى ما يقارب عامين (Brookings, 2025).

ولم يكن هذا التحول الشعبي بلا أثر؛ فقد واجهت الإدارة الأمريكية ضغوطًا متزايدة من أعضاء الكونغرس، لا سيما من الجناح التقدمي في الحزب الديمقراطي، لترجمة مطالب الناخبين إلى سياسات أكثر توازنًا. في صيف 2025، تصاعدت حدة الخطاب داخل الكونغرس، حيث جرت محاولات في مجلس الشيوخ لوقف صفقات أسلحة كبيرة إلى إسرائيل قدمتها الإدارة الجديدة مطلع 2025. ورغم أن هذه الجهود لم تُكلل بالنجاح التشريعي الكامل، إلا أنها وجهت رسالة سياسية غير مسبوقة مفادها أن "الصبر على الدعم المطلق بدأ ينفد" في ظل تجاوزات الحرب. كذلك دفعت اعتبارات الانتخابات الأميركية المقبلة بعض الساسة إلى إعادة تقييم اصطفافهم الأعمى مع إسرائيل، خاصة مع تراجع تأييد الرئيس بايدن بين الناخبين العرب والمسلمين الأميركيين بسبب موقفه من الحرب (Arms Control Association, 2025).

2.3 تآكل النفوذ الأميركي دوليًا:

على الصعيد الدولي، أدّى الانحياز الأميركي شبه المطلق لإسرائيل إلى عزلة متزايدة للولايات المتحدة في المحافل الأممية في وجه الإجماع العالمي المنادي بوقف الحرب. فعلى سبيل المثال، في الجمعية العامة للأمم المتحدة برزت الولايات المتحدة مرارًا ضمن أقلية معارضة لقرارات تدعو لوقف إطلاق النار أو حماية المدنيين، مما قوّض قدرتها التقليدية على بناء تحالفات واسعة. وأصبحت الدبلوماسية الأميركية مرهقة بالدفاع عن المواقف الإسرائيلية أمام الشركاء الأوروبيين والعرب الذين ازداد انتقادهم، الأمر الذي أضعف نفوذ واشنطن ومصداقيتها كوسيط نزيه في المنطقة (Arab Center Washington DC, 2025).

بل إن بعض الحلفاء المقربين – كأغلب الدول الأوروبية واليابان – ابتعدوا عن الموقف الأميركي المتشدد، ممتنعين عن تأييد واشنطن في التصويتات الأممية المتعلقة بغزة. كذلك، تستغلّ قوى منافسة كروسيا والصين هذا التآكل لتوسيع نفوذها في الشرق الأوسط. وبالتالي يمكن القول إن استراتيجية الدعم الأمريكي الاستراتيجي الثابت لإسرائيل تواجه اختبارًا صعبًا: ففي الداخل تضغط اعتبارات الديمقراطية والرأي العام لتعديل المسار، وفي الخارج يتآكل النفوذ الأميركي كلما طالت الحرب بلا حل. هذا الوضع قد يجبر واشنطن على إعادة تقييم تكتيكاتها – ولو بشكل محدود – حفاظًا على دورها القيادي ومصالحها الاستراتيجية الأوسع (Arab Center Washington DC, 2025).

3. الاتحاد الأوروبي – انقسام المواقف الرسمية وتصدّع الإجماع

3.1 تصاعد الانتقادات في العواصم الأوروبية:

شهد الموقف الرسمي الأوروبي تحولًا ملموسًا في النصف الأول من 2025، حيث انتقلت عدة حكومات أوروبية من خطاب الدعم التقليدي لإسرائيل إلى لهجة نقدية صارمة نتيجة تفاقم الكارثة الإنسانية في غزة. فبعد نحو 18 شهرًا من اندلاع الحرب، ومع تجاوز عدد الضحايا المدنيين عشرات الآلاف، انطلقت انتقادات أوروبية غير معهودة حتى من دول كبرى كانت تُعرف تاريخيًا بقربها من إسرائيل. على سبيل المثال، فرنسا والمملكة المتحدة وألمانيا – وهي الدول التي التزمت في بداية الحرب بلهجة التضامن مع إسرائيل وحقها في الدفاع – بدأت بحلول مايو 2025 في توجيه تحذيرات علنية إلى تل أبيب. فقد حذر قادة باريس ولندن وبرلين من أنهم سيعيدون تقييم العلاقات وربما يفرضون عقوبات إن استمرت إسرائيل في انتهاك القانون الإنساني ومنع وصول المساعدات لغزة (Arab Center Washington DC, 2025).

وفي تطور لافت بتاريخ 19 مايو 2025، أصدرت كل من بريطانيا وفرنسا (إلى جانب كندا) بيانًا مشتركًا يعتبر استمرار حصار غزة ومنع الإغاثة "انتهاكًا للقانون الدولي الإنساني"، ملوّحًا بفرض عقوبات على مسؤولين إسرائيليين – في خطوة غير مسبوقة تجاه دولة حليفة. هذه اللغة الحادة تعكس تآكل "الحصانة السياسية" التقليدية التي تمتعت بها إسرائيل لدى حلفائها الغربيين. حتى ألمانيا – التي يعد دعم إسرائيل جزءًا من عقيدتها السياسية منذ الحرب العالمية الثانية – غيّرت نبرتها بشكل واضح؛ فصرّح المستشار الألماني الجديد (فريدريش ميرتس) بأنه لم يعد يجد "منطقًا" في الضربات العسكرية الإسرائيلية المكثفة على غزة وتساءل عن جدواها في تحقيق هدف مكافحة الإرهاب. كما وصف وزير الخارجية الألماني الأوضاع في غزة بأنها "لا تطاق"، وأكد أن برلين "لن تورد أسلحة قد تستخدم في ارتكاب مزيد من الأذى". هذه التصريحات تعبر عن سابقة دبلوماسية: إذ لأول مرة تربط ألمانيا صراحةً صادرات الأسلحة إلى إسرائيل بمدى التزام الأخيرة بالقانون الإنساني (Arab Center Washington DC, 2025).

إلى جانب هذه الدول الكبرى، اتخذت دول أوروبية أخرى خطوات أشد صرامة تعكس انقسامًا متزايدًا في الصف الأوروبي. فقد قادت إسبانيا وإيرلندا وسلوفينيا موجة من المواقف المتقدمة منذ أواخر 2024، إذ اعترفت رسميًا بدولة فلسطين (في خطوة رمزية قوية) وطالبت بمنحها عضوية كاملة في الأمم المتحدة. ثم تلتها النرويج في اتخاذ موقف مماثل رغم أنها ليست عضوًا في الاتحاد الأوروبي. وبتأثير من ذلك، بدأت فرنسا وبلجيكا في أوائل 2025 بدراسة الاعتراف بدولة فلسطين أيضًا، إذ صرّح وزير خارجية النرويج أن "إذا تحركت فرنسا فستلحقها عدة دول". وإلى جانب الاعتراف بفلسطين، قامت إيطاليا وإسبانيا والبرتغال وفرنسا خلال ربيع 2025 باستدعاء سفرائها من تل أبيب للتشاور – وهي خطوة احتجاجية قوية لم تشهدها العلاقات الأوروبية الإسرائيلية بهذا النطاق من قبل. كما أعلنت بلجيكا وإسبانيا إلغاء اتفاقيات عسكرية وتجارية سابقة مع إسرائيل، وطالبتا بمراجعة شاملة لاتفاقية الشراكة بين الاتحاد الأوروبي وإسرائيل. هذه الاتفاقية تمنح إسرائيل تسهيلات تجارية كبيرة في السوق الأوروبية، ودعوة مراجعتها تشير إلى استعداد بعض العواصم لاستخدام أوراق ضغط اقتصادية إذا استمر الوضع الراهن (Arab Center Washington DC, 2025).

3.2 انعكاس الانقسامات على الموقف الأوروبي الجماعي:

نتيجة لهذه المواقف المتباينة، اهتزّت وحدة الموقف الأوروبي التقليدي تجاه الصراع. فعلى مدى عقود، ورغم بعض الخلافات الطفيفة، حافظ الاتحاد الأوروبي على خطاب موحد عمومًا يدعو لحل الدولتين دون ممارسة ضغوط فعلية على إسرائيل. أما الآن، فبات من الصعب التوصل إلى إجماع أوروبي حول خطوات ملموسة بسبب الانقسام بين معسكر منتقد بشدة لإسرائيل ومعسكر متحفظ. فدول أوروبا الشرقية وبعض الحكومات اليمينية (مثل هنغاريا والنمسا والتشيك) استمرت في دعم إسرائيل بقوة وعرقلة أي قرارات عقابية، مما منع الاتحاد الأوروبي كمؤسسة من تبني إجراءات موحدة حاسمة. ويُظهر هذا التباين بوضوح عند النظر إلى المداولات الأوروبية: فبينما يطالب البعض بحظر تصدير السلاح لإسرائيل ومحاسبتها دوليًا، ترفض دول أخرى مجرد إدانتها رسمياً. وبذلك، اقتصر فعل الاتحاد الأوروبي المشترك حتى منتصف 2025 على بيانات عامة تدعو لوقف إطلاق النار وإيصال المساعدات – وهي بيانات صدرت بالإجماع أخيرًا في صيف 2025 بعد طول تردد (Council of the European Union, 2025).

مع ذلك، ينبغي التنويه أن هذه التحولات الأوروبية، رغم أهميتها السياسية، ما زالت محدودة التأثير عمليًا بفعل قيود هيكلية. فأولاً، يستمر الدعم الأمريكي المطلق لإسرائيل كعامل يكبح أي تحرك أوروبي جماعي جذري. وثانيًا، لا تزال بعض القوى الكبرى في أوروبا (كألمانيا وفرنسا) مترددة في تجاوز الخطوط الرمزية إلى إجراءات عقابية فعلية تغير أسس العلاقة الاستراتيجية مع إسرائيل. لذلك، لم تُفعَّل حتى الآن أدوات ضغط مثل إلغاء امتيازات الشراكة أو فرض عقوبات اقتصادية، بل بقيت في إطار التهديد النظري. ورغم اعتلاء الخطاب الأخلاقي والإنساني سلم الأولويات بشكل غير معتاد في العواصم الأوروبية، إلا أن المصالح الاستراتيجية والتحالف مع واشنطن كبح جماح التحول الفوري (Arab Center Washington DC, 2025).

ومع ذلك، لا يمكن إنكار أن أوروبا تشهد منعطفًا: فعودة القضية الفلسطينية إلى قلب النقاش الرسمي، وتزايد الدعوات لاعترافات بدولة فلسطين ولمساءلة إسرائيل قانونيًا (مثل الانضمام لقضايا أمام محكمة العدل الدولية حول جرائم الحرب)، كلها تطورات تشير إلى تحول بنيوي طويل الأمد قد يزداد عمقًا إذا استمرت الحرب وازدادت كلفتها الإنسانية. فربما نشهد على المدى الأبعد تضاؤل الاستثناء الإسرائيلي في السياسة الأوروبية، بحيث تُعامل إسرائيل "كدولة عادية" تخضع للمحاسبة والاشتراط كغيرها، بدلاً من وضعها الخاص الحالي (Arab Center Washington DC, 2025). وخلاصة الأمر، أحدثت حرب غزة انقسامات ملموسة في المواقف الرسمية الأوروبية وأعادت القضية الفلسطينية إلى الواجهة الأوروبية بقوة، مما يُضعف الغطاء الدبلوماسي الذي تمتعت به إسرائيل طويلاً ويؤشر إلى تغير في موازين الخطاب والقيم بالاتحاد الأوروبي، حتى لو لم يترجم فورًا إلى سياسة موحدة فعالة.

4. التحولات في أمريكا اللاتينية – خطوات تصعيدية ورسائل دبلوماسية

4.1 موجة مواقف غير مسبوقة في أواخر 2023:

تزعمت دول أمريكا اللاتينية في بدايات الحرب حملة احتجاج دبلوماسي صارمة ضد إسرائيل، متقدمة بذلك على كثير من مناطق العالم. خلال الأسابيع الأولى من الحرب (أكتوبر – نوفمبر 2023)، بادرت عدة حكومات لاتينية يسارية إلى قطع العلاقات أو خفضها بشكل حاد مع إسرائيل، تعبيرًا عن رفضها الشديد لما اعتبرته عدوانًا إسرائيليًا على غزة. وكانت بوليفيا السبّاقة في هذا الصدد؛ فبتاريخ 31 أكتوبر 2023 أعلنت حكومة الرئيس لويس آرسي قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل بالكامل، متهمةً إياها بارتكاب "جرائم حرب وانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان" في غزة. وجاء في بيان وزارة الخارجية البوليفية أن هذا القرار جاء "رفضًا وتنديدًا بالهجوم العسكري الإسرائيلي العدواني وغير المتناسب في قطاع غزة، الذي يهدد السلم والأمن الدوليين". شكلت هذه

الخطوة صدمة دبلوماسية كونها أول قطع علاقات من نوعه في العالم إثر حرب 2023، وأعادت إلى الأذهان قيام بوليفيا نفسها بإجراء مماثل في حرب غزة عام 2009 (ثم إعادة العلاقات عام 2020 في ظل حكومة يمينية مؤقتة) (The Guardian, 2023).

وسرعان ما حذت دول أخرى حذو بوليفيا لكن بدرجات متفاوتة. ففي غضون ساعات من القرار البوليفي، أعلن رئيسا تشيلي (غابرييل بوريك) وكولومبيا (غوستافو بيترو) استدعاء سفيريهما من تل أبيب للتشاور (The Guardian, 2023). أما الرئيس التشيلي بوريك، المعروف بنزعته الإنسانية، فأعلن أيضًا سحب سفير بلاده احتجاجًا على "الانتهاكات غير المقبولة للقانون الدولي الإنساني في غزة" (Jacobin, 2023). وعلى المنوال نفسه، انضمت هندوراس في 4 نوفمبر 2023 إلى هذه الإجراءات، حيث أعلنت رئيستها زيومارا كاسترو استدعاء السفير، بينما أصدر وزير خارجيتها بيانًا يندد بـ"الإبادة الجماعية والانتهاكات الخطيرة للقانون الإنساني الدولي التي يتعرض لها المدنيون الفلسطينيون في غزة" (Wikipedia, 2024). الجدير بالذكر أن هندوراس كانت حتى وقت قريب حليفًا قويًا لإسرائيل (نقلت سفارتها إلى القدس عام 2021 في عهد الحكومة السابقة)، مما يكسب خطوتها وزنًا سياسيًا خاصًا كدلالة على التحول مع تغير القيادة السياسية.

4.2 دلالات ودوافع المواقف اللاتينية:

تعكس هذه الإجراءات الجماعية في أمريكا اللاتينية مكانة القضية الفلسطينية الراسخة في الوعي السياسي اللاتيني، خاصة لدى حكومات اليسار. فلطالما تبنّت كثير من دول أميركا الجنوبية سردية مناصرة للشعوب المستضعفة ومعاداة الإمبريالية، ورأت في الفلسطينيين تجسيدًا لنضال تحرري. في الحرب الحالية، التقت هذه الخلفية الأيديولوجية مع مشاهد الدمار في غزة لتدفع قادة تلك الدول لاتخاذ مواقف متقدمة أخلاقيًا. ويمكن رصد عدة دلالات مهمة: أولها، أن أمريكا اللاتينية تزعمت فعليًا الموقف الدولي الصارم ضد إسرائيل في المحافل الدبلوماسية. ففي الوقت الذي كانت فيه دول غربية كبرى تتفادى إدانة إسرائيل بشكل مباشر، خرجت عواصم مثل لاباز وبوغوتا وسانتياغو بخطاب عالي النبرة يصف ما يحدث بأنه مجزرة وإبادة جماعية. وثانيها، أكدت هذه الدول على المحددات القانونية والإنسانية في خطابها، إذ تكرر وصف انتهاك إسرائيل للقانون الدولي الإنساني واستهدافها المتعمد للمدنيين. فمثلاً شددت وزارة خارجية الأرجنتين في بيان دعمها لهذه المواقف أنه "لا شيء يبرر انتهاك القانون الإنساني والالتزام بحماية المدنيين في النزاعات" (Jacobin, 2023).

على صعيد الأثر الدبلوماسي، أدت هذه المواقف إلى زيادة عزلة إسرائيل في منطقة أمريكا اللاتينية. فقد باتت تل أبيب بحلول 2025 بلا علاقات دبلوماسية أو على الأقل دون تمثيل على مستوى السفراء في معظم الدول ذات الثقل هناك. وبالإضافة إلى بوليفيا وكولومبيا وتشيلي وهندوراس، قامت البرازيل في أوائل 2024 باستدعاء ثم سحب سفيرها (قطعت عملياً العلاقات على مستوى التمثيل)، كما أعلنت كولومبيا في مايو 2024 قطع العلاقات تمامًا بعد تفاقم السجال مع إسرائيل. وحتى بيرو والمكسيك – رغم حكومتيهما المعتدلتين – استدعتا السفير الإسرائيلي لفترة (بيرو في نوفمبر 2023) أو صعدتا الخطاب بشكل ملحوظ. هذه التطورات جعلت إسرائيل محدودة الحضور دبلوماسيًا في نصف الكرة الغربي الجنوبي، ومحاطة بحكومات تنتقدها علنًا. ويمكن قراءة هذا الوضع كمؤشر على تراجع النفوذ الإسرائيلي وتأثر صورتها عالميًا؛ فالدول اللاتينية الكبيرة كالبرازيل والمكسيك ذات تأثير في المنتديات متعددة الأطراف (كالأمم المتحدة ومجموعة الـ77)، ومواقفها شكّلت كتلة ضغط معنوية تدعم الطرح العربي والإسلامي في تلك المحافل (Wikipedia, 2024).

وإلى جانب ذلك، فإن التحركات اللاتينية ساهمت في إعادة الزخم لمبدأ حل الدولتين والاعتراف الدولي بفلسطين. إذ لم تكتفِ هذه الدول بالإدانة، بل بادرت إلى خطوات إيجابية لصالح الفلسطينيين: فمثلًا كولومبيا افتتحت سفارة لها في رام الله في 2024 كدلالة اعتراف، والمكسيك في فبراير 2025 اعترفت رسميًا بدولة فلسطين وعينت سفيرًا فلسطينيًا في مكسيكو (Mexico News Daily, 2025). كذلك قامت جمايكا وترينيداد وتوباغو وجزر البهاما (من منطقة الكاريبي) في ربيع 2024 بالاعتراف بدولة فلسطين لأول مرة بسبب الحرب (Wikipedia, 2024)، مما يشير إلى نطاق جغرافي أوسع لهذه الموجة الاعترافية. إن هذه الخطوات تعزز موقف فلسطين دبلوماسيًا وترفع عدد الدول المعترفة بها، وبالتالي تضع مزيدًا من الضغط على إسرائيل في المحافل الدولية.

باختصار، لعبت حكومات أمريكا اللاتينية خلال الحرب دور ضمير عالمي عبر مواقف حازمة وغير تقليدية تجاه إسرائيل. وقد كشفت هذه التحولات عن ميلاد كتلة دبلوماسية مستقلة في الجنوب العالمي مستعدة لاتخاذ إجراءات قوية دفاعًا عن المبادئ الإنسانية، حتى في مواجهة دول قوية. كما عكست ارتباط سياسات تلك الحكومات بالتوجهات الشعبية الداخلية؛ فشعوب أمريكا اللاتينية ذات تاريخ طويل في مناصرة القضية الفلسطينية، وهو ما ترجمته قياداتها إلى سياسات رسمية تجاوبت مع نبض الشارع. وضمن المشهد الأوسع، أكدت هذه المواقف أن مكانة إسرائيل الدبلوماسية في العالم لم تعد محصَّنة؛ فإذا كانت دول بعيدة جغرافيًا مثل بوليفيا وهندوراس لم تتردد في قطع العلاقات، فإن هذا ينذر بأن استمرار الحرب وتفاقمها قد يدفعان مزيدًا من الدول لاتخاذ خطوات مشابهة، مما يزيد عزلة إسرائيل الدولية ويفرض عليها إعادة تقييم لمسارها العسكري والسياسي.

5. الدور الروسي والصيني – استثمار سياسي ودبلوماسي في تطورات الحرب

5.1 روسيا: استغلال الحرب لفك العزلة وتعزيز النفوذ

انتهزت روسيا التطورات الأخيرة في حرب غزة لتتبنى موقفًا يظهرها بمظهر المدافع عن الشرعية الدولية وحقوق المستضعفين. فمنذ الأسابيع الأولى للصراع، انخرطت موسكو بقوة في الدبلوماسية المتعلقة بغزة: قدمت مشاريع قرارات في مجلس الأمن تدعو إلى وقف فوري لإطلاق النار، وساندت بقوة المقترحات العربية في الأمم المتحدة التي تطالب بإنهاء القتال. ورغم اصطدام كل تلك الجهود بالفيتو الأمريكي، فقد حققت هدفًا مهمًا وهو إبراز التمايز عن الموقف الغربي وإظهار روسيا بمظهر "صوت العدالة" في نظر دول الجنوب العالمي (The Russia Program, 2024).

على الصعيد الخطابي، رفعت موسكو من حدة انتقاداتها لإسرائيل ولحليفها الأمريكي. ففي تصريحات رسمية رفيعة، اتهم الكرملين واشنطن بمنح إسرائيل "رخصة لقتل الفلسطينيين" والحفاظ على إفلاتها من العقاب. ووصف الرئيس فلاديمير بوتين حملة إسرائيل العسكرية بأنها ليست "عملية حربية" بل "عملية تدمير شامل للسكان المدنيين" في غزة، معتبرًا ذلك أمرًا غير مقبول أخلاقيًا. كما سعت موسكو إلى الوساطة في ملفات إنسانية مرتبطة بالحرب، مثل محادثات غير مباشرة مع حماس بشأن إطلاق سراح بعض الرهائن، حيث استقبلت موسكو وفدًا من الحركة في أكتوبر 2023، ما أثار احتجاجًا رسميًا من تل أبيب (The Russia Program, 2024).

5.2 الصين: مبادرات حذرة لتعزيز الحضور في الشرق الأوسط

انتهجت الصين سياسة تنشط تدريجيًا في ملف غزة خلال الأشهر الأخيرة، في إطار استراتيجيتها لتأكيد دورها العالمي. تاريخيًا، تبنت بكين موقفًا متوازنًا، داعمة حق الفلسطينيين في دولة ومستفيدة من علاقاتها الاقتصادية مع إسرائيل. لكن تصاعد الحرب دفع الصين إلى رفع مستوى انخراطها الدبلوماسي.

منذ أواخر 2023، دعت الصين مرارًا إلى وقف فوري لإطلاق النار وحماية المدنيين، وانتقدت بشدة الاستخدام المتكرر للفيتو الأمريكي في مجلس الأمن. كما أوفدت مبعوثًا خاصًا للشرق الأوسط، السفير تشاي جون، الذي قام بجولات مكوكية شملت إسرائيل، الضفة الغربية، مصر، والإمارات. وقدمت بكين مبادرة من ثلاث مراحل في أواخر 2024، تشمل: وقف إطلاق النار، رفع الحصار وتقديم المساعدات، ثم استئناف المفاوضات على أساس حل الدولتين (Ministry of Foreign Affairs of China, 2024).

على الصعيد الإعلامي، كثفت الصين خطابها الموجه للشرق الأوسط، فوصفت الخارجية الصينية قصف المستشفيات ومخيمات اللاجئين في غزة بأنه "غير مقبول على الإطلاق"، وطالبت بالتحقيق والمحاسبة (PBS, 2023). كما قدمت الصين مساعدات إنسانية، منها تمويل بنحو 3 ملايين دولار لوكالة الأونروا، إضافة إلى إرسال شحنات طبية عبر مصر (UNRWA, 2024; China International Development Cooperation Agency, 2024).

في النهاية، يبقى الدور الصيني مزيجًا من الدعم الكلامي للفلسطينيين والمبادرات الإنسانية، مع حرص على عدم التضحية بعلاقاتها الاقتصادية مع إسرائيل. ومع ذلك، توسع نفوذها الشرق أوسطي، وأصبحت لاعبًا رئيسيًا يُنتظر أن يشارك في جهود إعادة الإعمار أو التسوية السياسية بعد الحرب (Atlantic Council, 2024).

6. المواقف العربية والإقليمية – بين التصعيد الحذر والحسابات الاستراتيجية

6.1 مصر: حذر استراتيجي رغم خطورة الموقف

تميز الموقف المصري في الأشهر الأخيرة بالتوازن الدقيق بين التصعيد الكلامي تجاه إسرائيل وتجنب الانجرار إلى مواجهة مباشرة أو تغييرات جذرية في العلاقات. فمن ناحية، كثّفت القاهرة خطابها السياسي المنتقد لسلوك إسرائيل كلما تفاقمت الأزمة الإنسانية في غزة، وأعربت بوضوح عن استيائها من استهداف المدنيين واستمرار الحصار. وعندما تصاعدت الضغوط الدولية على مصر لفتح حدودها أمام النزوح الجماعي من غزة، جاء الرد المصري حاسمًا وحازمًا: "لن نكون جزءًا من أي مخطط لتهجير الفلسطينيين من أرضهم". فقد اعتبر السيسي (في تصريحات في يناير 2025) أن أي محاولة لدفع الفلسطينيين نحو سيناء هي "عمل من أعمال الظلم لن نشارك فيه لأنه يهدد الأمن القومي المصري". وأضاف أن ترحيل سكان غزة "خط أحمر" بالنسبة لمصر والأردن ولن يُسمح به مهما كانت الضغوط. هذا الموقف الحازم أكده أيضًا الملك الأردني عبد الله الثاني بعبارته الشهيرة "لا لاجئين في الأردن، ولا لاجئين في مصر" منذ أكتوبر 2023، في تنسيق واضح بين القاهرة وعمان (Reuters, 2023; King Abdullah II, 2023).

على الأرض، حافظت مصر على إغلاق معبر رفح أمام حركة النزوح الجماعي رغم فتحه بشكل متقطع لمرور المساعدات الإنسانية والجرحى. ورابطت قوات مصرية معززة على حدود سيناء تحسبًا لأي محاولة فرض أمر واقع. وفي الوقت ذاته، ضاعفت مصر من نشاطها الدبلوماسي إقليميًا ودوليًا لمحاولة احتواء الأزمة: فاستضافت القاهرة عدة اجتماعات قمة عربية ودولية (مثل "قمة القاهرة للسلام" في أكتوبر 2023) دعت فيها إلى وقف فوري للقتال وحل تفاوضي (Middle East Institute, 2023). ولعبت

المخابرات المصرية دور الوسيط بين إسرائيل وحماس في مراحل تبادل الأسرى وهدن مؤقتة (كما حدث خلال هدنة نوفمبر 2023 لتبادل الأسرى والتي تمت بوساطة مصرية قطرية).

6.2 تركيا: عودة إلى خطاب المواجهة

مثّلت تركيا حالة بارزة في التحولات الإقليمية، إذ انتقلت من مسار تطبيع متدرج مع إسرائيل عام 2022 إلى مواجهة دبلوماسية حادة معها خلال حرب غزة. فالرئيس رجب طيب أردوغان، الذي أعاد تبادل السفراء مع إسرائيل قبل الحرب بعد عقد من التوتر، انقلب موقفه رأسًا على عقب مع اندلاع القتال. تبنى أردوغان خطابًا شديد اللهجة منددًا بإسرائيل، معتبرًا ما تقوم به في غزة "إبادة جماعية وجرائم حرب". وصرّح في إحدى التجمعات بأن "نتنياهو تجاوز هتلر في وحشيته في غزة"، ما أدى إلى رد فعل إسرائيلي غاضب. وعلى إثر ذلك، أعلنت أنقرة في أوائل نوفمبر 2023 استدعاء سفيرها من تل أبيب للتشاور، وصرح وزير الخارجية التركي أن تركيا "لن تقف مكتوفة الأيدي أمام المجازر". وردًا على هذه الخطوات، جمّدت إسرائيل علاقتها مع تركيا لبعض الوقت (أمر نتنياهو البعثة الإسرائيلية في أنقرة بالعودة مؤقتًا). وفي خطوة تصعيدية أخرى، صادق البرلمان التركي في نهاية 2023 على قرار يقيّد بعض الصادرات العسكرية إلى إسرائيل – لا سيما التقنيات التي يمكن استخدامها ضد المدنيين (Wikipedia, 2024a).

على الصعيد الشعبي، شهدت تركيا مظاهرات حاشدة مؤيدة لغزة، واستغل أردوغان ذلك ليقود حملة سياسية إقليمية. فدعا في خطاب له أمام تجمع مليونِي في إسطنبول إلى محاسبة إسرائيل دوليًا، وقال عبارته المشهورة: "من يصمت أمام الإبادة في غزة فهو شريك في الجريمة" (Turkish Directorate of Communications, 2023). كما سعى أردوغان لاستثمار القضية لتعزيز مكانة تركيا القيادية في العالم الإسلامي؛ فاستضافت أنقرة اجتماعات طارئة لمنظمة التعاون الإسلامي لمناقشة الأزمة، واقترح أردوغان إرسال قوة حماية دولية إلى غزة – وهي أفكار لم تلق تجاوبًا عمليًا لكنها عكست رغبته في التحرك كرأس حربة إسلامي.

7. الخاتمة

مع اقتراب حرب غزة من نهاية عامها الثاني، يتضح أن أحدث التحولات الحكومية رسمت مشهدًا دبلوماسيًا غير مسبوق حول إسرائيل. فللمرة الأولى منذ عقود، تجد إسرائيل نفسها في مواجهة انتقادات علنية وعقوبات دبلوماسية من حلفاء تقليديين في الغرب، وتواجه عزلة متفاقمة في الجنوب العالمي وأمريكا اللاتينية، فضلاً عن عداء صريح وممانعة قوية في محيطها الإقليمي. هذه التحولات الأخيرة كشفت الكثير عن طبيعة النظام الدولي الراهن: نظام لم يعد أحادي القطب في هيمنته الخطابية، بل تتنافس فيه قوى متعددة على تقديم روايات مختلفة للمبادئ والقيم. رأينا دولًا كبرى كروسيا والصين تستثمر في خطاب مناقض للغرب كسبًا للشرعية، ورأينا دولًا متوسطة وصغيرة في أميركا اللاتينية والعالم الإسلامي تتجرأ على تحدي دول كبرى عبر قرارات سيادية (قطع علاقات، استدعاء سفراء) بدوافع أخلاقية وإنسانية. كما تجلى دور الرأي العام والضغوط الشعبية في تشكيل سياسات الحكومات، حتى في الديمقراطيات الغربية الراسخة – إذ لم يعد بمقدور قادة هذه الدول تجاهل أصوات شعوبهم التي هالها حجم المأساة في غزة (Brookings, 2025).

لقد رأينا أن كثيرًا من المواقف المتشددة لم تكن لتخطر على البال مع بداية الحرب؛ فالدعم الأمريكي المطلق تعرض لتصدعات، والإجماع الأوروبي الموالي لإسرائيل ظهرت فيه شروخ، والعزلة الدولية باتت تطرق أبواب إسرائيل. ومع ذلك، يبقى سؤال المستقبل

مفتوحًا: هل هذه التحولات مؤقتة تمليها فظائع اللحظة والضغط الشعبي وستتراجع بانحسار دخان الحرب؟ أم أنها تحولات أعمق تعكس إعادة تموضع استراتيجي في النظام الدولي تجاه مزيد من التوازن ومساءلة القوى الإقليمية على أفعالها؟

على الأرجح أن بعض الآثار ستكون بعيدة المدى. فالدول اللاتينية التي قطعت علاقاتها ربما لن تعيدها بسهولة دون ثمن سياسي. والدول الأوروبية التي ذاقت طعم الضغط على إسرائيل قد تدفع نحو مشروطية جديدة في العلاقة الأوروبية-الإسرائيلية ترتبط باحترام الحقوق الفلسطينية (Arab Center Washington DC, 2025). كما أن الرأي العام الغربي، خاصة في أمريكا وأوروبا، قد خرج من هذه الحرب بصورة مختلفة لإسرائيل لن يسهل تغييرها بسرعة (Brookings, 2025). وفي العالم العربي، أعادت الحرب القضية الفلسطينية إلى مركزية الوجدان الجماعي بعد أن كادت تتراجع أمام هموم أخرى، مما يعني أن أي ترتيبات إقليمية مستقبلية لن تنجح دون أخذ العدالة للفلسطينيين بعين الاعتبار.

مع ذلك، يبقى النظام الدولي محكوماً بمصالح الدول الكبرى وتوازناتها. فلا زالت واشنطن تملك أوراقًا كثيرة لحماية حليفتها، ولا تزال بعض الحكومات الأوروبية المؤيدة لإسرائيل تقاوم التحول الكامل في سياسات الاتحاد. وربما تراهن إسرائيل – إن وضعت الحرب أوزارها – على سياسة "إصلاح العلاقات" عبر الدبلوماسية الناعمة أو بعض التنازلات الشكلية لاستعادة ما فقدته من دعم. لكن المؤكد أن ما بعد حرب غزة ليس كما قبلها في ميزان علاقات إسرائيل الدولية.

لقد أدت الحرب إلى إعادة فرز في مواقف الحكومات: من يقف فعلاً على أرض المبادئ ومن يغلب المصالح، من ينصت لشعبه ومن يعانده. وفي هذا الفرز، تكشّف نظام دولي جديد أقل أحادية وأكثر تعددية في مصادر الضغط والتأثير. وربما تكون هذه إشارة إلى ما سيأتي: عالم تبدأ فيه أصوات الضحايا بالتحول إلى قرارات، وتتراجع فيه الحصانات المطلقة حتى عن أقرب الحلفاء. حرب غزة، بكل مآسيها، قد تترك إرثًا مهمًا يتمثل في بزوغ وعي دولي جديد يرفض التغاضي عن الفظائع لأي كان، ويضع أسسًا لمساءلة أشد صرامة في العلاقات الدولية – مساءلة قد تجعل تكرار سيناريو مثل غزة أمرًا أكثر كلفة سياسياً لأي دولة في المستقبل.

المراجع:

Arab Center Washington DC. (2025). European conditionality and Israel: Emerging shifts in EU policy. Arab Center for Research and Policy Studies.

Arab Center Washington DC. (2025). Russia, China, and the Gaza war: Competing narratives and diplomacy. Arab Center for Research and Policy Studies.

Arab Center Washington DC. (2025). Transformations in European attitudes toward the genocidal war on Gaza. Arab Center for Research and Policy Studies.

Arab Center Washington DC. (2025). U.S. policy and Gaza: Strains in credibility and regional diplomacy. Arab Center for Research and Policy Studies.

Arms Control Association. (2025). U.S. arms transfers and congressional debates on Israel. Arms Control Association.

Atlantic Council. (2024). China and Russia in the Middle East: Gaza war implications. Atlantic Council.

Brookings. (2025). Public opinion shifts on Gaza war and U.S. policy implications. Brookings Institution.

Brookings. (2025). U.S. and European public opinion on the Gaza war: Implications for Israel. Brookings Institution.

China International Development Cooperation Agency. (2024). China provides emergency aid to Gaza. CIDCA.

Council of the European Union. (2025). EU Council conclusions on the situation in Gaza. Consilium.

Council on Foreign Relations. (2025). China's Middle East envoy tours the region amid Gaza war. CFR.

Jacobin. (2023, November). Latin America is leading the way in standing up to Israel. Jacobin Magazine.

Mexico News Daily. (2025, February). Mexico officially recognizes the State of Palestine. Mexico News Daily.

Ministry of Foreign Affairs of China. (2024). China's three-step proposal for Gaza peace. MFA China.

Ministry of Foreign Affairs of China. (2025). Chinese envoy meets Israeli ambassador to discuss Gaza war. MFA China.

PBS. (2023, December). China condemns strikes on Gaza hospitals and refugee camps. PBS News.

PBS. (2025). Arab and Muslim American voters and the Biden administration's Gaza policy. PBS News.

The Guardian. (2023, November 1). South American countries recall ambassadors and cut ties with Israel over war with Hamas. The Guardian.

The Russia Program. (2024). Moscow’s diplomatic positioning during the Gaza war. George Washington University.

Times of Israel. (2023, November). Putin condemns Israeli campaign in Gaza as destruction of civilians. Times of Israel.

UNRWA. (2024). China contributes $3 million for humanitarian relief in Gaza. UNRWA.

Wikipedia. (2024). International reactions to the 2023 Gaza war. Wikipedia.

Wikipedia. (2024). Russia and China’s reactions to the 2023 Gaza war. Wikipedia.

Wikipedia. (2025). International reactions to the 2023 Gaza war. Wikipedia.